قبيلة عنزة ودورها السياسي في تاريخ الخليج الحديث[171]

بمجرد تفكك حلف لهازم، واضمحلال دوره السياسي في شرقي شبه الجزيرة العربية بدأت تظهر ملامح تشكل حلف جديد، هو حلف العتوب.

والعتوب جمع عتبي؛ وهو حلف تشكل في نهاية القرن السابع عشر الميلادي ويضم أفخاذاً كثيرة تنتمي لعدة قبائل هاجرت من مساكنها في نجد واستقرت على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية.

وقد اختلف المؤرخون في سبب تسمية هذا الحلف بالعتوب؛ فمنهم من رأى بأن كلمة العتوب قد اشتُقَّت في اللغة العربية من فعل: عتب أي انتقل وارتحل، ويتفق هذا المعنى مع صفة الجماعة التي تحمل هذا الاسم والتي انتقلت من نجد واستقرّت على سواحل الخليج العربي قرب البحرين، فالتسمية ترجع إلى الأصل الثلاثي عتب وهو فعل معناه: الاجتياز من موضع إلى موضع، أي كثرة الترحال من مكان إلى آخر.[172]

ويرى بعض المؤرخين أن كلمة العتوب هي نسبة إلى: بني عتبة وهم فرع من فروع قبيلة عنزة انضمت إليه عشائر مختلفة تنتمي إلى قبائل عديدة هاجرت من مساكنها في نجد، واستقرّت على ضفاف الخليج العربي، وتحالفت فيما بينها وتصاهرت وشكلت حلف العتوب. ومن عشائر العتوب من ينتمي إلى قبيلة عنزة، ومنهم من ينتمي إلى قبيلة تميم، ولذلك فقد سمي هذا الحلف نسبة إلى أقوى عشائره وهم بنو عتبة.[173]

وتجمع المصادر على أن أبرز عشائر حلف العتوب هم آل خليفة وآل الصباح والجلاهمة، ويعود نسبهم إلى السلقا من العمارات، من ضنا بشر بن قيس الوائلي، من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.[174]

---

[171] نشرت هذه الدراسة في: **صحيفة الوطن**، السنة الخامسة، العدد 1583، 11 أبريل 2010. ص 17.

[172] عبد الله بن خالد الخليفة وعلي أبا حسين (1991) **البحرين عبر التاريخ**، الجزء الثاني، البحرين. ص 173.

[173] فائق حمدي طهبوب (1983) **تاريخ البحرين السياسي 1783-1870**، الكويت. ص 34.

[174] بدر الدين عباس الخصوصي (1988) **دراسات فى تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر**، الكويت. 2/99.

وقد قدمت قبائل بني عتبة من الهدّار وهو أطول أودية الأفلاج، وكانت قبيلة عنزة قد انتشرت في المنطقة الممتدة ما بين خيبر إلى الأفلاج منذ القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي.[175]

وتشير المصادر إلى أن تحالف العتوب بدأ يتشكل في شرقي شبه الجزيرة العربية، في غضون العقد السابع من القرن السابع عشر الميلادي، حيث قامت علاقة وطيدة بينهم وبين الخوالد بزعامة براك بن غرير الخالدي آنذاك، ولذلك فإنه لا بد من النظر إلى تشكل ذلك الحلف القبلي بالتزامن مع أحداث الهجرة الكبيرة الثالثة لقبيلة عنزة، ويحدد المؤرخون بأنها كانت في نهاية القرن السادس عشر الميلادي.

والمعروف هو أن العمارات قد استقروا بصورة جماعية في شمال شرقي شبه الجزيرة العربية في تلك الفترة.[176] وبعد انهيار دولة الخوالد في نهاية القرن الثامن عشر، تحركت عشائر السلقا (وهم من أهم فروع العمارات من عنزة) من مواطنهم في شرقي شبه الجزيرة العربية متجهين نحو الشمال، وقاموا في هذه الأثناء بتقديم الدعم لقوات الدولة السعودية الأولى في حملاتها على العراق.[177]

وبالتالي فإن حركة هجرات بني عتبة من قرية الهدار في القرن السادس عشر الميلادي، يجب أن ينظر إليها من منظورها الأوسع باعتبارها حركة عودة عشائر السلقا من العمارات إلى شرقي شبه الجزيرة العربية بعد هجرتهم منها في عهد الدولة العيونية إبان منتصف القرن الرابع عشر الميلادي.

وهذه النظرة الأشمل يمكن أن تساعد في تفسير ظاهرة مهمة، تتمثل في: سرعة تأقلم العتوب واندماجهم مع مجتمعات الساحل الغربي للخليج العربي، وكذلك انخراطهم في النشاط الاقتصادي، من خلال الغوص على اللؤلؤ، ومزاولتهم لحركة النقل البحري وامتلاكهم لأسطول كبير يتكون من مائة وخمسين سفينة في غضون فترة لا تزيد عن

---

[175] مي محمد الخليفة (1996) **محمد بن خليفة 1813-1890، الأسطورة والتاريخ الموازي**، بيروت، ص. ص 239-241.

[176] أوبنهايم (2004) **البدو**، مرجع سابق، 1/126، وبوركهارت، **رحلات في الجزيرة العربية**، 2/404.

[177] المرجع السابق. 1/129، و155.

ثلاثين سنة على مغادرتهم إقليم الأفلاج وفق وثيقة عثمانية يعود تاريخها إلى عام 1701م.[178]

وبالإضافة إلى نشاطهم في مجال الملاحة البحرية؛ سيطر العتوب على حركة النقل البري في تلك المناطق عقب انهيار دولة الخوالد، فكانوا يؤجرون جمالهم لمن يريدون ترحيل محاصيلهم من الحقول، بالإضافة إلى عمليات النقل الحكومية والمشاركة في حملات الحج.[179]

أما على الصعيد السياسي والإداري فقد نجح العتوب في تشكيل كيانات سياسية وتجمعات حضرية في كل من: فريحة والكويت والزبارة والدمام بالإضافة إلى تأسيس دولة لهم في البحرين.

والحقيقة هي أن الجذور التاريخية لتواجد قبيلة عنزة في البحرين منذ العصور القديمة هي التي مكنتهم من الإسهام في تأسيس البنية الاقتصادية والتركيبة السكانية لسواحل الخليج العربي في العصر الحديث، ومن ثم تشكيل كيانات سياسية تمكنت من الاستمرار لفترة تتجاوز ثلاثة قرون، ويعود ذلك إلى قوة البنية التحتية للكيانات التي نشأت تحت ظل العتوب، والتي لم تكن تقوم على إدارة دفة الحكم فحسب، بل شملت: تولي شؤون التجارة، والمواصلات البرية والبحرية على حد سواء.

وبناء على ذلك فإن الكيانات السياسية التي أسسها العتوب في القرن الثامن عشر الميلادي كانت تستند إلى التغلغل التاريخي لعشائر ذلك التحالف في جذور البنية السياسية والاجتماعية والاقتصادية لإقليم البحرين وأرخبيل جزرها منذ القرن الرابع الميلادي.

ويقودنا ذلك للتنبيه إلى ضرورة عدم الخلط بين حقيقة أن حلف العتوب هو تحالف قبلي من جهة، وأن الأفراد المؤسسين لهذا الحلف ينتمون في أصولهم إلى عناصر سكانية يعود تاريخ وجودها في البحرين إلى القرن الرابع الميلادي من جهة أخرى؛ فزعماء هذا الحلف هم بنو عتبة من جميلة من السلقا من العمارات من ضنا بشر بن قيس من قبيلة عنزة بن أسد، وهم بذلك من أكثر أهل البحرين أصالة، وأقدمهم من حيث الانتماء إلى أرضها.

---

[178] أرشيف رئاسة الوزراء العثماني فى اسطنبول: دفاتر المهمة رقم 111، ص 713، من علي باشا والي البصرة إلى السلطان العثماني بتاريخ 21 رجب 1113 هـ، الموافق 1701م.

[179] أوبنهايم (2004) **البدو**، مرجع سابق، 1/131.

فقد مثلت قبيلة عنزة البحرين عنصراً أساسياً في حلف لهازم إبان الفترة الجاهلية، واستمر وجودها في المنطقة إبان الفترة الوسيطة، وبالتالي فإن النسق الطبيعي لتطور الأحداث هو استعادة قبيلة عنزة دورها الرائد في العصر الحديث، وذلك من خلال تشكيل تحالف العتوب.

ففي حالة الفراغ السياسي الذي طرأ عقب انهيار الوجود البرتغالي، وانشغال القوى الإقليمية بالصراع فيما بينها؛ تحركت العناصر السكانية الأصيلة لملء ذلك الفراغ، فتشكل حلف العتوب الذي ضم عشائر من عنزة (بني عتبة، الخليفات)، وتميم، وبني سليم (آل بنعلي)، وتعاونت معهم عشائر الخوالد (الذين يمثلون الامتداد الطبيعي لعبد القيس في العصور الحديثة)[180] لتأسيس الدولة الخليجية الحديثة، وتنظيم الحياة الإدارية والموارد الاقتصادية فيها.

ولم تأت تلك القوة العسكرية التي تمتع بها العتوب، والهيمنة على حركة التجارة بشقيها البري والبحري من فراغ، بل كانت تمثل امتداداً للتواجد السكاني الذي كان قائماً ما بين فترة تشكل حلف لهازم وتشكل حلف العتوب، وقد قام كلا التحالفان على تعاون وثيق بين بطون بكر بن وائل وعبد القيس، بالإضافة إلى انضمام عشائر من تميم وبني سليم لهما.

وبعد أن هيمنت عشائر من بني عامر وعبد القيس (من العيونيين والعصفوريين والجبور) على مؤسسات الحكم لمدة تزيد عن خمسة قرون، استطاعت عشائر من عنزة أن تتولى السلطة السياسية على أنقاض سلطة الجبور في نهاية القرن السابع عشر الميلادي.

---

[180] العصفوريون والجبور ينتسبون إلى عقيل بن عامر بن صعصعة بن قيس عيلان، وهم من بني عامر بن عبد القيس من ربيعة الذين عرفوا باسم العمايرة وانتسبوا إلى بني خالد. وكان بنو عامر يعملون في التجارة حتى أصبح يطلق على جميع من امتهن التجارة في الجزيرة العربية إبان القرن السابع الهجري العقيليين. عبد الله بن خالد الخليفة وعلي أبا حسين (2005) **مكانة البحرين في التاريخ الإسلامي**، مكتبة فخراوي، البحرين. ص.ص 178-180.